



اقتراب صن تزو غير المباشر للحرب، وانعكاساته على صراعات القوى الكبرى



الدكتور/ شادي عبدالوهاب منصور
هيئة التوجيه - كلية الدفاع الوطني

وعلى سبيل المثال، فإنه خلال فترتي الربيع والخريف، كانت الحرب في المقام الأول تتم باستخدام الفرسان، الذين كانوا جزءاً من النخبة، وليس جنود المشاة الذين تمت الإشارة إليهم في الكتاب، كما أنه خلال فترة الممالك المتحاربة، زاد عدد الجنود المقاتلين زيادة كبيرة مقارنة بفترتي الربيع والخريف. وتتمثل أحد التفسيرات المحتملة التي تسعى لتفسير هذا التناقض إلى إمكانية أن أفكار صن تزو تم تناقلها شفهاً لمدة 150 عاماً، وأن «صن بن»، والذي يعتقد أنه حفيد صن تزو، هو من قام بتدوينها للمرة الأولى، وفصل الأفكار المنقولة عن أفكاره الخاصة من خلال تأليف كتابين مختلفين، وإن كانا يحملان نفس الاسم.

وهناك تفسير آخر، وهو أنه من المحتمل أن تكون هناك نصوص أخرى قد أضيفت إلى النص الأصلي من قبل الطلاب والأتباع في السنوات التالية، مما أدى إلى إنتاج عمل مجمع في النهاية. وأياً كان التطور الذي مر به كتاب «فن الحرب» للوصول إلى شكله الحالي، فإن الرأي الراجح أنه كان موجوداً في شكله الحالي في وقت مبكر من عهد أسرة هان الحاكمة (206 ق.م - 220 م)، وعلى الأرجح خلال فترة الممالك المتحاربة وتحديداً من بدايتها إلى منتصفها.

وإذا ما سلمنا بأن «تزو» ظهر في مرحلة الممالك المتحاربة، فإنه خلال هذه الفترة، شهدت الصين تحولات كبيرة، إذ شكلت الممالك العظمى بها جيوشاً محترفة، وتم استبدال الهيكل الإقطاعي الذي كان سائداً في السابق بأشخاص يتمتعون بالخبرة والكفاءة. ولذلك وصلت الحرب إلى مرحلة من النضج مع إيلاء اهتمام خاص للاستراتيجية والتكتيكات والروح المعنوية للقوات. كما أنه خلال هذه الحقبة، تنافست سبع ممالك كبرى للسيطرة على الصين. وكان يتوسطها العديد من الدول الأصغر حجماً، ولكن الدول السبع الكبرى كانت قد أصبحت الآن كبيرة ومتماسكة لدرجة أنه أصبح من الصعب على إحداها أن تستوعب الأخرى بسهولة. كما كان وجود وبقاء الدولة مهدداً في حد ذاته، وهو ما يفسر أسباب حرص تزو على تجنب التورط في حروب، خاصة إذا ما كانت غير حاسمة، مع العمل على الحفاظ على قوة الدولة عسكرياً. وعلى الرغم مما سبق، يعزى إلى صن تزو الفضل في المساعدة على إنهاء فترة الممالك المتحاربة، وأنه ساهم في تولي أول إمبراطور للصين تشين شي هوانغ العرش.

ووفقاً لـ «بي. أتش. ليديل هارت»، المؤرخ البريطاني، فإن كتاب «فن الحرب» يجسد «جوهر الحكمة في إدارة الحرب» على عكس التفسيرات السطحية في الغرب لكتابات الاستراتيجيين، مثل كارل فون كلاوزفيتز، وخاصة «نظريته عن الحرب الشاملة»، والتي يعتقد ليديل هارت أنها خلقت «مفاهيم خاطئة كثيرة» وتسببت في النهاية إلى اندلاع حربين عالميتين. ولذلك، فهو يوصي بقراءة متأنية للأطروحات القديمة مثل كتاب «فن الحرب» لصن تزو؛ لأن ذلك من شأنه أن يحث على الاعتدال الذي تشدد الحاجة إليه في أساليب الحرب الغربية. وعلى وجه الخصوص، تحذير صن تزو بأنه «لم تحقق أي حرب طويلة الأمد فائدة تذكر للدولة المنخرطة فيها»، وإن كان من الملاحظ أن وجهة نظر ليديل هارت السلبية عن كلاوزفيتز لم تلق قبولاً من جانب محللين استراتيجيين بارزين مثل مايكل هوراد وكولين جراي.

وانتشرت شهرة كتاب «فن الحرب» بسرعة كبيرة، إذ إنه بحلول عام 760 ميلادي، انتشر كتابه خارج الحدود الصينية، إذ استُخدمت أساليبه بانتظام من قبل القادة العسكريين في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا. فقد أُستلهم

يُعدُّ كتاب صن تزو «فن الحرب»، أحد أقدم الكتب في العلوم العسكرية الصينية، إذ كُتب قبل حوالي ألفين وخمسمائة عام مضت، وتحديداً في عام 512 قبل الميلاد. وعلى الرغم من قدم أطروحته، فإنها تجد صدى حتى اليوم في الفكر الاستراتيجي لعدة اعتبارات متباينة. أولها، إن الدول الغربية، منذ ترجمة كتاب «فن الحرب» إلى اللغة الإنجليزية، على يد ليونيل جايلز في عام 1910، وكتاب فن الحرب يستخدم كمصدر أساسي لفهم وتفسير الفكر الاستراتيجي الصيني، وكذلك عقلية الصين وسلوكها الدولي. ثانيها، ترتبط أفكار صن تزو ارتباطاً وثيقاً بكيفية شن الحروب واعتبارها جزءاً من استراتيجية أوسع تتضمن أبعاداً أخرى، بل وتأكيداً على ضرورة تجنب خوض الحروب لصالح توظيف أدوات أخرى، اقتصادية ودبلوماسية تهدف في النهاية إلى «إخضاع العدو بلا قتال»، وبالتالي، فإن أفكاره صدى فيما يتعلق بالصراع بين القوى الكبرى، خاصة الولايات المتحدة من جانب، وروسيا والصين من جانب آخر. وتعتقد العديد من الدوائر الأمريكية أن خصوم واشنطن يسعون إلى تحقيق هدفين، وهما النصر دون قتال، وإلى تهيئة الظروف للانتصار في أي حرب مستقبلية قبل أن تبدأ، وهما فكرتان أصيلتان في تفكير المفكر العسكري الصيني صن تزو. ثالثها، اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها على أفكار المفكر الصيني. ففي نهاية الحرب الباردة، استعارت الولايات المتحدة من صن تزو عندما ابتكرت «الاستراتيجية التنافسية» التي تهدف إلى مهاجمة نقاط ضعف السوفييت بعناصر القوة الأمريكية. وهذا بالضبط ما قصده صن تزو عندما قال إنه ينبغي على «الجيش تجنب عناصر القوة للخصم، وأن يستهدف نقاط ضعفه». ويشار إلى هذه الاستراتيجية في البنجابون تحت اسم «التقييم الصافي».

وفي ضوء ما سبق، سوف يسعى هذا التحليل إلى إلقاء الضوء على أبرز أفكار المفكر الصيني، مع محاولة توضيحها من خلال تقديم أمثلة عدة من التاريخ العسكري، قديمة وحديثة، ومدى صلاحيتها لفهم أو تفسير ما تشهده الساحة الدولية من صراعات، بالإضافة إلى تحليل مدى إمكانية توظيف أفكار «تزو» لفهم صراعات القوى الكبرى، سواء فيما يتعلق بالصراع الصيني - الأمريكي حول تايوان، أم الصراع الروسي - الأمريكي حول أوكرانيا.

الجدل حول صن تزو:

يعرف كتاب «فن الحرب» في اللغة الصينية باسم «صن زي بينجفا»، ويترجم إلى «أساليب المعلم صن العسكرية». وهناك شكوك حول هوية صن تزو الحقيقية، إذ إنه من المفترض أن كتاب فن الحرب هو كتاب من تأليف صن تزو، لذي عاش في أواخر فترة الربيع والخريف، وتحديداً ما بين 544 قبل الميلاد إلى 496 قبل الميلاد، في الصين، فقد وُلِدَ في ولاية تشي وانتقل إلى ولاية «وو»، حيث خدم في عهد الملك هيلو، وأبهر تزو الأخير بحنكته في الاستراتيجية وفن إدارة الدولة، كما ساهم بشكل كبير في السيادة العسكرية لـ «وو» خلال هذه الفترة.

مع ذلك، فإن هناك مؤشرات على أن كتاب «فن الحرب» الذي ألفه صن تزو قد كتب في حقيقة الأمر في فترة الممالك المتحاربة (453 - 221 قبل الميلاد)، أي بعد فترتي الربيع والخريف بحوالي مائتي سنة، وذلك لأن المعدات والتكتيكات العسكرية الموجودة في الكتاب كانت موجودة في فترة الممالك المتحاربة، وليس الفترة السابقة عليها.

وتتضمن أموراً مثل المسافات البعيدة أو القريبة، والخطر أو الأمان في المسير، والممرات المفتوحة أو الضيقة، وظروف الحياة أو الموت. كما تشير التضاريس إلى المعالم الجغرافية لساحة المعركة والأرض المختارة للقتال. وفي حين أنه من الصعب تغيير الملامح الجغرافية لساحة المعركة، فإنه يمكن للمرء أن يختار الأرض الأكثر ملاءمة له، أو أن يقود العدو إلى معركة في أرض غير مواتية.

توحيد اليابان في أوائل العصر الحديث من صن تزو، وكذلك تكتيكات حرب العصابات التي اتبعتها «هو تشي منه» خلال حرب فيتنام، وكذلك «ماو تسي تونج» خلال الحرب الأهلية الصينية. كما وظّف مبادئ «فن الحرب» الجنرالان الأمريكيان نورمان شوارزكوف الابن وكولن باول خلال حرب الخليج.

المعرفة والاستراتيجية في «فن الحرب»:

يمكن النظر إلى كتاب «فن الحرب» باعتباره دليلاً إرشادياً يهدف إلى تدريس كيفية الفوز في الحرب، من خلال إعطاء نصائح للتعامل مع تعقيدات الحرب بمهارة. ويتألف كتاب فن الحرب من «ثلاثة عشر فصلاً» تجمع ما بين مجموعة من الاستراتيجيات العسكرية، ونظريات عن الحرب، إذ يتناول جوانب مختلفة من الحرب، بما في ذلك إعداد تقديرات عن القوة الذاتية وقوة الخصم، وشن الحرب، وحرب المناورات، واستخدام الجواسيس.

ويأتي ضمن أهم إسهامات صن تزو هو إصراره على العقلانية والحسابات المنطقية عند التفكير في الشؤون العسكرية. ولا يقصد تزو عند حديثه عن ضرورة قيام القائد بإجراء تقديراته في المعبد بأنه يحضه على القيام بتكهنات بالاستناد إلى مصادر خارقة للطبيعة، بل تتعلق بضرورة قيامه بتقييم هادئ ومحاذ ومفضل للبيئة الأمنية وتوازن القوى والعوامل المعنوية والخيارات، ومسارات الحركة والاحتمالات والتكاليف والقدرات وما إلى ذلك. يبرر تزو موقفه هذا من خلال التأكيد «أن الحرب شأن عظيم من شؤون الدولة لأنها مسألة حياة أو موت، وطريق إما إلى السلامة أو إلى الهلاك. ومن ثم، فهي تتطلب فهماً شاملاً واستقصاءً دقيقاً».

وتتمثل أهم الجوانب الرئيسية في فكر تزو في تأكيده على الحاجة إلى بعدين أساسيين للنصر في الحروب، وهما الحاجة إلى المعرفة لتحقيق الأفضلية في مواجهة العدو، فضلاً عن امتلاك الاستراتيجية.

وفيما يتعلق بالعامل الأول، يرى صن تزو أنه من خلال مقارنة قدرة المرء التنافسية الخاصة به مع قدرة العدو، يمكن للمرء أن يحسب احتمالات النصر قبل خوض الحرب، واتخاذ قرارات حكيمة بشأن كيفية التعامل مع الصراع. ولهذا السبب كتب تزو: «إذا كنت لا تعرف نفسك ولا تعرف العدو، فلن تكون متأكداً من النصر. إذا كنت تعرف نفسك ولا تعرف العدو، فستتصر في نصف الحالات. أما إذا كنت تعرف نفسك وتعرف العدو، فلن تُهزم في مائة معركة». وتتمثل الترجمة العملية لهذه المقولة في أن تقوم الدولة بمهاجمة خصمها في المكان والزمان الذي يكون فيها ضعيفاً. وبمعنى آخر، يجب أن تختار الدولة متى وأين تخوض معاركها. في هذا الإطار، وضع تزو خمسة عناصر يجب أن يأخذها القائد العسكري في الاعتبار لتحقيق هذه الأفضلية، يتمثل أولها في التأييد الشعبي، إذ يجب أن يكون الحاكم قادراً على طرح قضية مقنعة ومبررة لشعبه حول سبب وجوب زحفهم إلى ساحة المعركة والمخاطرة بأرواحهم. إذا كانت القضية تحظى بدعم شعبي واسع، ويتمتع الحاكم بمصداقية كبيرة، فإن الشعب سوف يكون على استعداد لتباع حاكمهم في ميادين القتال.

أما ثاني هذه العوامل، فهو تفاعلات القوى الطبيعية وتأثيرها، أو ما أسماه تزو «السماء»، وهي تشير إلى المناخ والأحوال الجوية، مثل البرودة والحرارة والأوقات والفصول، وغيرها من العوامل الطبيعية، والتي قد تترك تأثيراً على عمل الجيش. ويتمثل ثالث هذه العوامل في التضاريس،



وفيما يتعلق بالعامل الرابع، فهو قائد الجيش، والذي ينبغي أن تتوفر فيه فضائل خمس ضرورية للقيادة العسكرية الجيدة، وهي الذكاء والجدارة بالثقة وتمتعه بالأخلاق الحميدة والشجاعة والصرامة. وبالتالي، فإن صن تزو يؤكد على أن العوامل الشخصية لقائد الجيش لا تقتصر على التدريب العسكري وخلفيته المهنية فحسب. وأخيراً، يشير تزو إلى «النظام» أي هيكل التنظيم العسكري وقوانين السيطرة على القوات والدعم اللوجستي.

ووضع تزو خمسة شروط لابد من توافرها لتحقيق النصر وهي:

- (1) من يعرف «متى يستطيع القتال ومتى لا يستطيع» سينتصر؛
- (2) من يعرف كيف يستخدم القوات الكبيرة والصغيرة على حد سواء سينتصر في الحرب، فهناك بعض الظروف التي «يستطيع فيها الضعيف السيطرة على القوي»، ويجب على المرء «التلاعب بمثل هذه الظروف» لتحقيق النصر؛
- (3) القائد الذي تكون صفوفه «متحدة في الهدف» سيحقق النصر؛
- (4) من يكون حكيماً و«يتربص بالعدو الذي لا يتربص» سينتصر؛
- (5) من يكون قادته يتمتعون بالحكمة و«لا يتدخل في شؤونهم الملك» سينتصر.

المعرفة المسبقة هي البصيرة المباشرة والفهم العميق لثلاثة أشياء، وهي العدو، ونقاط القوة والضعف لدى الدولة، والبيئة

ونظراً لأهمية الإلمام بكافة شؤون الخصم، فقد أولى تزو أهمية كبيرة لتوظيف الجواسيس وإدارتهم، فقد خصص الفصل الثالث عشر من كتابه «فن الحرب» للحديث عن الجواسيس، وأنواعهم وكيفية توظيفهم. وعُرف تزو خمسة أنواع من الجواسيس، وهم:

- (1) الجواسيس المحليون: هم من أهل بلد العدو الذين يتم تجنيدهم.
- (2) الجواسيس الداخليون: هم الجواسيس من مسؤولي الدولة المعادية، والذين يتم تجنيدهم وتوظيفهم.
- (3) الجواسيس المزدوجون: هم جواسيس العدو الذين يتم اكتشافهم وتوظيفهم في نقل معلومات مضملة للخصم.
- (4) الجواسيس الهالكون، وهم أولئك العملاء من الجواسيس المنتمين للدولة المرسله لهم، والذين يتم إعطاؤهم معلومات مفبركة عن عمد، والذين يمكن المغامرة بالتضحية بهم.
- (5) الجواسيس الأحياء: وهم أولئك الذين يعودون بالمعلومات القيمة.

ووفقاً لتزو، فإن هؤلاء الجواسيس يجب أن يعملوا كعيون وآذان الجيش، أي يتم استخدامهم لمعرفة أوضاع الدولة المعادية، وكذلك أوضاعها العسكرية. كما يمكنهم أن يخدعوا العدو عن قصد أو عن غير قصد عن وضع الدولة التي ترسل الجواسيس، وكذلك نواياها، مما يسبب انقسامات في مراكز صنع القرار لدى العدو. ويكمل الأنواع السابقة من الجواسيس عمل بعضهم البعض بطرق مختلفة. وعلى سبيل المثال، فإن يمكن من خلال الجواسيس الهالكون تجنيد العملاء المحليين والداخليين وتوظيفهم، أو توظيفهم في نقل المعلومات الكاذبة. وقدم تزو عدة مبادئ حول كيفية إدارة الأنواع الخمسة المختلفة من الجواسيس، إذ أكد أنهم يجب أن يتم توظيفهم بصورة تحقق أهدافاً متناسقة، كما يجب أن يعملوا بسرية شديدة، وألا يعلموا أي شيء عن بعضهم البعض. ولتحقيق ذلك الأمر، يجب أن يكون لدى القائد «معرفة كاملة بأنشطة هذه الأنواع الخمسة من الوكلاء»، أي يجب أن يفهم المبادئ الكامنة وراء عملهم وينسق أنشطتهم، وبالتالي، فإن تزو يؤكد على ضرورة وجود جهاز أو نظام يشرف على الجواسيس وأنشطتهم.

توظيف الإكراه دون الحرب:

يعد الملمح الأساسي لفكر صن تزو هو دعوته لتجنب الحرب، وحضه

وإلى جانب الحاجة إلى المعرفة لتحقيق الأفضلية في مواجهة العدو، هناك حاجة إلى امتلاك الاستراتيجية المدروسة جيداً، فهي ضرورية وفقاً له للنصر في أي حرب. كما أكد أن «كل الناس يمكن أن يعرفوا التكتيك الذي اتبعته لتحقيق النصر، ولكن سيصعب عليهم معرفة الاستراتيجية التي اتبعها لتحقيق النصر»، وهو ما يكشف عن إيلاء صن تزو أهمية كبيرة لامتلاك استراتيجية طويلة الأمد لتحقيق النصر، والتي لا تقتصر على النصر في معركة عسكرية، ولكنها تسعى لتحقيق هدف ذي قيمة عالية للدولة، وباستخدام أدوات قوة الدولة كافة، العسكرية وغير العسكرية.

المعرفة المسبقة والجواسيس:

يرى تزو إن أولئك الذين سيتمكنون من التعامل بحرفية عالية مع تعقيدات الحرب، سوف ينظر إليهم باعتبارهم فائزين. ودافع صن تزو عن إمكانية التوصل إلى «المعرفة المسبقة»، إذ يمكن، وفقاً له، التنبؤ بالنصر أو الهزيمة، أو التيقن منهما مسبقاً من خلال الاستناد إلى الاستدلال. ولذلك أكد أن «المعرفة المسبقة» كانت شرطاً أساسياً لتحقيق النصر في الحرب، إذ أوضح: «إن السبب في أن الأمير المستنير والقائد العسكري الحكيم يخدعان العدو كلما تحركا وتجاوزت إنجازاتهما إنجازات الرجال العاديين هو المعرفة المسبقة، وذلك من خلال استخدام الجواسيس. أما عن كيفية تحقيق هذه المعرفة المسبقة، فقد أكد تزو في كتابه «إن ما يسمى «المعرفة المسبقة» لا يمكن استخلاصها من الأرواح، ولا من الآلهة، ولا بالقياس على الأحداث الماضية، ولا بالحسابات، بل يجب الحصول عليها من رجال يعرفون حالة العدو». وبصورة أوضح، فإن ما يقوله صن تزو هو أن المعرفة المسبقة ليست مجرد توقع المستقبل بناءً على الأحداث الماضية، كما أنها ليست مجرد تحليل بسيط لترتيب المعركة لجيش العدو. فالمعرفة المسبقة هي البصيرة المباشرة والفهم العميق لثلاثة أشياء، وهي العدو، ونقاط القوة والضعف لدى الدولة، والبيئة. ووفقاً لتزو، فإن الأولوية تتمثل في المعرفة بشؤون العدو.

ومن الأمثلة التاريخية على ذلك، التحدي الذي واجهته روما في هزيمة قرطاج، منافستها في الحرب البونيقية الأولى، إذ إن روما كانت دولة قوية في البر، بينما كانت قرطاج تسيطر على البحار. وبالتالي كان يتوجب على روما، لكي تنتصر، أن تتوقف عن كونها قوة برية فقط، وتصبح قوة بحرية أيضاً. وللقيام بذلك بفاعلية، كان على روما أن تتعلم من عدوها. ففي بداية الحرب، عثرت القوات الرومانية على سفينة قرطاجية من طراز «كوينكويريم» (سفينة حربية ذات خمسة صفوف من المجاديف)، والتي جنحت أثناء عاصفة. واستخدمتها روما كنموذج لبناء سفنها وتدريب طواقمها عليها، وتمكنت روما من إطلاق أسطولها في غضون شهرين. ومع ذلك، قام البناؤون الرومان بأكثر من مجرد تقليد السفينة الحربية. فاستفادة من تفوق جيشهم، أضاف الرومان خطافاً إلى مقدمة سفنهم، وكان يتم إسقاطه على سفينة العدو الحربية لمنعها من الهرب. بعد ذلك، كان الجنود الرومان يعبرون جسراً متحركاً إلى سفينة العدو ويقضون على طاقمها. وعلى الرغم من خسارة روما العديد من السفن على يد الأسطول القرطاجي أثناء عملية تعلم كيفية القتال باستخدام السفن الحربية، فإنها في النهاية تمكنت من تحقيق انتصار حاسم على عدوها في معركة إيجوسا البحرية. ويقدم المثل السابق توضيحاً لأهمية معرفة العدو وتكتيكاته من أجل تحقيق الانتصار عليه.

وذلك من خلال توجيه ضربة أولى وقوية وغير متوقعة ضد خصم واحد، حتى يضع تحالف الخصم أمام أمر واقع، وهو هزيمة أكثرهم قوة، وبالتالي، فإن حلفاء الدولة المهزومة غالباً ما سيتراجعون عن مهاجمة الدولة المنتصرة، لأن تكلفة ومخاطر هذا الأمر سوف تكون مرتفعة عليهم. وفي حالة تراجعهم عن شن هجوم مضاد، فسيكون الملك المهيمن قد حقق انتصاراً سريعاً وحاسماً في ساحة المعركة. فالفوز في حرب قصيرة وخاطفة تحافظ على خزينة الدولة وقوتها البشرية، إلى جانب ضم أراضي وموارد إضافية هو أفضل خيار بعد الفوز دون قتال.

ويشير البعض إلى أن المثال المعاصر على الأمر السابق يتمثل في قيام روسيا بضم شبه جزيرة القرم من أوكرانيا في مارس 2014. فقد قامت موسكو بنشر قوات كافية، بشكل غير معلن، في القرم، وذلك لردع أي مقاومة عسكرية أوكرانية للضم الروسي. وفي الوقت نفسه، أدى وجود أسطول البحر الأسود الروسي في شبه جزيرة القرم إلى رفع التكاليف الرمزية والاستراتيجية لأي محاولة من جانب الولايات المتحدة أو حلف شمال الأطلسي للتدخل المباشر لمنع موسكو من ضم الجزيرة. كما أدى إعلان روسيا ضم شبه جزيرة القرم إلى أراضي الدولة الروسية إلى رفع تكلفة أي محاولة لمهاجمتها، إذ إن أي جهد من قبل الدول الغربية، أو أوكرانيا نفسها لعكس هذا الوضع سيكون بمثابة هجوم على روسيا نفسها.

وفي حين أن ضم روسيا لشبه جزيرة أوكرانيا لم يستهدف الدولة الأقوى في الحلف، سواء بالنظر إلى أن أوكرانيا لم تكن منضمة رسمياً إلى حلف الناتو، أم أنها ليست دولة قوية من حيث المنظور العسكري، ولكنها كانت قد بدأت تنسج تحالفات مع الدول الغربية في مواجهة موسكو. وعلى الجانب الآخر، فإن هناك اختلافاً جوهرياً عن السياق الذي نشأ فيه صن تزو. ففي حين أنه في الحروب القديمة كان يمكن لأكثر قوتين أن تتواجهن في معركة بشكل مباشر، وتتصارع إحداهما على الأخرى، فإن الأمر لا ينطبق على الحروب الحالية بين القوى الكبرى، والتي باتت تمتلك أسلحة نووية. فقد فرضت الأسلحة النووية واقعاً جديداً، وهي أن القوى الكبرى لا يمكن عملياً أن تخوض حرباً مباشرة، وإلا ترتب على ذلك توظيفها للسلاح النووي، ومن ثم إبادة ليس فقط شعبي الدولتين المنخرطتين في حرب نووية، ولكن شعوب الأرض كلها. ولذلك، أصبح من البديهي منذ زمن الحرب الباردة أن المواجهة بين القوى الكبرى تتم بشكل غير مباشر وعلى أراضي الدولة الثالثة، مثل أوكرانيا. ويلاحظ أن ما ساعد على الضم السريع والسهل لشبه جزيرة القرم هو انضمام الأسطول الأوكراني المتمركز هناك، بأغلب قاداته وكامل سفنه، إلى الجيش الروسي، وانشقاقهم عن بلدهم الأم أوكرانيا. فقد أنشق سيرغي بيليسيف، النائب الأول لقائد الأسطول الأوكراني، والقائد الأعلى للقوات البحرية الأوكرانية بالنيابة، ليصبح بعد ذلك نائب قائد أسطول البلطيق الروسي.

ومن جهة أخرى، فإن ضم روسيا لشبه جزيرة القرم يتفق مع تأكيد تزو على أهمية عنصر السرعة، فقد أكد أن «السرعة هي جوهر الحرب. استغل عدم استعداد العدو، وسافر عبر طرق غير متوقعة واضربه من حيث لم يتخذ أي احتياطات».

وتجدر الإشارة هنا إلى تأكيد صن تزو على أهمية الدبلوماسية، خاصة في شكلها القسري، والدعاية، والحرب السياسية، وتوظيف التجسس،

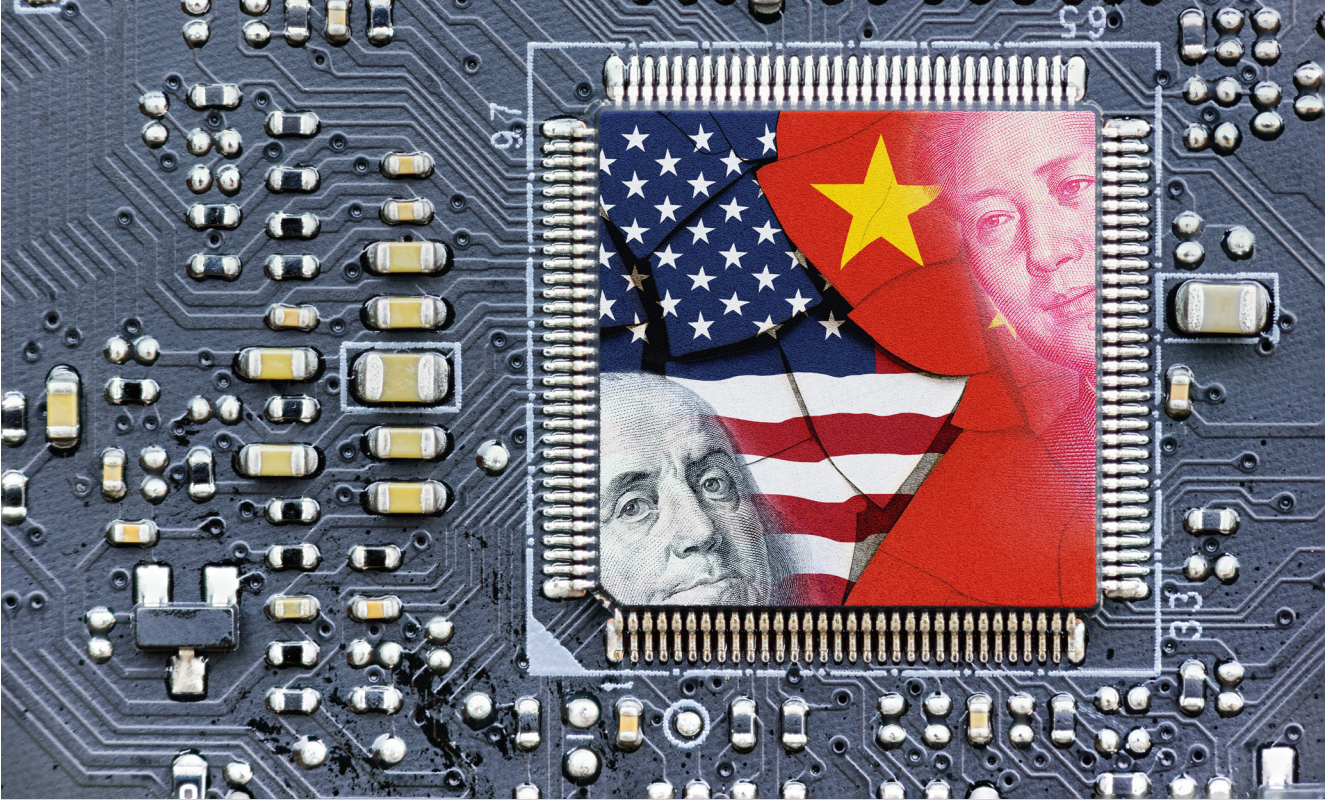
للقائد على توظيف كافة الأدوات دون مستوى الحرب لتحقيق أهداف الدولة، مثل الإكراه، أو الردع، إذ أوضح بشكل لا لبس فيه «أن ذروة المهارة ليس أن تكسب مئة معركة، بل أن تخضع العدو دون قتال». وبالتالي، فإن ما له أهمية قصوى في الحرب هو مهاجمة استراتيجية العدو. وثاني أفضل خيار بعد ذلك هو تخريب تحالفاته.. أما ثالث أفضل خيار فيتمثل في مهاجمة جيشه... وأسوأ سياسة على الإطلاق هي مهاجمة المدن، فلا ينبغي التورط في مهاجمتها إلا كملاذ أخير، وذلك عند فشل كل البدائل الأخرى».

وحتى عند اختيار الحرب كأداة لتنفيذ أهداف الدولة، أكد تزو أنه في كل الأحوال ينبغي تجنب الخوض في حرب طويلة، وذلك بهدف الحفاظ على حياة الجنود والأموال، نظراً لأن الدولة المدمرة لا يمكن أن تعود مرة أخرى إلى سابق مجدها، مثلما هو الحال مع الأموات الذين لا يمكن أن يعودوا إلى الحياة.

ويرى ستيفن سيمبالا أن إخضاع العدو بلا قتال هو تجسيد لمفهوم «الإقناع العسكري» (Military Persuasion)، أي هو التهديد باستخدام القوة المسلحة، أو استخدامها من أجل الحصول على الأهداف السياسية أو العسكرية المنشودة. والإقناع العسكري هو استراتيجية نفسية تهدف إلى التأثير على قرارات الجهات الفاعلة الأخرى من الدول أو غير الدول، دون الحاجة بالضرورة إلى تدمير قواتها المسلحة أو مجتمعاتها. وبهذا المعنى، يقترب الإقناع العسكري من مفهوم آخر، وهو الدبلوماسية القسرية، والتي هي استراتيجية عسكرية تسعى لتحقيق أحد هدفين محتملين، وهما إما إقناع الخصم بوقف عمل جارٍ قبل أن يحقق الغرض المقصود منه، أو إقناع الخصم بالتراجع عن التزام أو إجراء سابق أو إجراء تم اتخاذه بالفعل. وإذا نجح الملك في ذلك، فإنه ينتصر دون قتال، ويحقق ما يسميه صن تزو «ذروة المهارة».

في حالة فشل الانتصار دون قتال، أو الدبلوماسية القسرية باستخدام المصطلحات المعاصرة، فإن الخيار التالي هو القتال. ووفقاً لتزو، فإنه يتوجب على الملك أن «يهاجم الدولة الأقوى» في التحالف المعادي،

أصبح من البديهي منذ زمن الحرب الباردة أن المواجهة بين القوى الكبرى تتم بشكل غير مباشر وعلى أراضي الدولة الثالثة، مثل أوكرانيا



الأمريكي - التركي، وعرقلة التشغيل البيئي لحلف الناتو من خلال بيع موسكو لمنظومة الدفاع الجوي «أس - 400» لأتقنة، وهو الأمر الذي أغضب الولايات المتحدة، ودفعها إلى فرض عقوبات على تركيا، وذلك من خلال طردها من المشاركة في برنامج تصنيع مقاتلة الجيل الخامس الأمريكية «أف - 35»، وذلك ضمن حزمة عقوبات أخرى.

ومن الأمثلة كذلك تحقيق روسيا انتصاراً دبلوماسياً كبيراً على حساب الدول الغربية الداعمة لأوكرانيا، مع تولي الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، الحكم في الولايات المتحدة، خاصة بعدما اعتبر أن الحرب الروسية - الأوكرانية كانت خطأ الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، والذي اتهمه بأنه من بدأ بشن الحرب ضد روسيا، وهو ما يتوافق مع موقف الكرملين، والذي يرى أن محاولة أوكرانيا الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي كان الدافع الرئيسي لشن الحرب ضد كييف، فضلاً عن تأكيد ترامب بأن روسيا «في موقع قوة» في المفاوضات الرامية لإنهاء الحرب في أوكرانيا، بما يعنيه ذلك من إمكانية التسليم بضم روسيا للأراضي الأوكرانية التي سيطرت عليها بالقوة. وسوف تؤثر هذه المواقف على وحدة الموقف الأطلسي تجاه أوكرانيا، بل وسيقوي موقف الدول الأوروبية الراضة للاستمرار في دعم أوكرانيا اقتصادياً وعسكرياً، مثل المجر وسلوفاكيا. وعلى الجانب الآخر، فإنه إذا تمكنت واشنطن من إبرام اتفاق سلام مع روسيا حول أوكرانيا، وهو اتفاق لاتزال تقف أمامه عقبات كبيرة، فإن ترامب قد يسعى لاستقطاب موسكو بعيداً عن تحالفها مع بكين، وهو تفكير بدأت بعض مراكز البحث الأمريكية في الترويج له.

صن تزو واستعادة تايوان:

كما سبقت الإشارة إليه، فإن أحد أهم الإسهامات لصن تزو دعوته لتبني

والتدابير الاقتصادية، كلها أدوات يجب توظيفها، سواء قبل أي حرب أو أثناءها وبعدها.

تفكيك تحالفات الخصم:

يلاحظ أن صن تزو بذلك يكون قد سبق مورجنثاو في الحديث عن «استراتيجية الوقعة» (Wedge Strategy)، أي محاولة تفكيك تحالفات الخصم، أو إضعافه، كما سبقت الإشارة، غير أنه من الملاحظ أن تزو لم يقصر اتباع استراتيجية الوقعة فقط بين الدولة، وخصومها وحسب، ولكن بين الملك ووزرائه كذلك. ويتم النوع الثاني من الوقعة باستخدام الجواسيس، الذين يتم زراعتهم في البلاط الملكي للدولة المعادية.

ولن يتم التطرق في هذا القسم إلى النوع الثاني من الوقعة، ولكن النوع الأول، وهو الوقعة بين الدولة المناوئة وحلفائها. ومن الأمثلة المعاصرة على محاولة تفكيك التحالفات المعادية سعي الصين لضم تايوان سلمياً، وذلك من خلال إقناعها بأنها لا يمكنها التعويل على قيام الولايات المتحدة بدعمها عسكرياً في مواجهة بكين. ففي أواخر يونيو 2021، أصدر المتحدث باسم وزارة الدفاع الصينية، رن قوه تشيانج، تحذيراً صريحاً لتايبيه، وحث القيادة التايوانية على أن «تدرك بشكل واقعي أن مستقبل تايوان يكمن في إعادة التوحيد الوطني». وأضاف أن «أي محاولة للاعتماد على الولايات المتحدة من أجل الاستقلال محكوم عليها بالفشل».

ويأتي ضمن الأمثلة كذلك نجاح روسيا لإحداث انقسامات بين تركيا وحلفائها في حلف شمال الأطلسي، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، بين عامي 2016 و2019، إذ نجحت موسكو في عرقلة التعاون العسكري



وقاد ليو غوكسوان 31 سفينة فقط للهروب إلى تايوان. وأصيب كيشوانغ حاكم تايوان بالذعر بعد هزيمتهم في بينغهو. وفي المقابل، وبناء على تعليمات الإمبراطور كانغشي، اتبع الجنرال شي لانغ استراتيجية نشطة لكسب قلوب وعقول الجنود التايوانيين الأسرى، إذ عاملهم بلطف وكافأهم بالفضة والأرز. وبعد تلقيهم العلاج الطبي، تم إطلاق سراح الجرحى وإعادتهم إلى تايوان، وطلب منهم أن يعلنوا نية الصين في ضم تايوان سلمياً. وبالفعل، قرر كيشوانغ الخضوع للصين. وفي 11 أغسطس 1683، وصل جيش تشينغ إلى تايوان وسيطر عليها سلمياً.

وبإسقاط مبادئ تزو العسكرية، نجد أن الإمبراطور كانغشي كان قادراً على تقييم الوضع بدقة، إذ لم يستخدم القوة ضد تايوان إلا بعد أن تمكن من إخماد الاضطرابات الداخلية، كما أنه استخدم القوة بشكل حاسم، وبصورة تجنب الدخول في حرب طويلة. فقد وظف الإمبراطور كانغشي الجنرال شي لانغ الذي كان لديه إمام تام بطريقة قتال جيش تشنغ، ومن ثم طور خطة عسكرية للتغلب عليه. وكان هذا تطبيقاً مثالياً لمقولة صن تزو: «إذا كنت تعرف العدو وتعرف نفسك، فلا داعي للخوف من نتيجة مائة معركة».

وإذا ما نظرنا إلى سياسات الصين الحالية تجاه تايوان، فإنها تلتزم، حتى الآن، بتجنب الدخول في مواجهة عسكرية لاستعادة تايوان بالقوة العسكرية، وفقاً لتوجهات صن تزو، إذ إنها لاتزال تفضل توظيف الدبلوماسية القسرية في مواجهة تايوان. ووضح ذلك في المناورات واسعة النطاق، التي بدأت الصين في القيام بها بشكل دوري حول تايوان،

استراتيجيات صراعية تتجنب الانخراط في حروب مدمرة، وتجعل من خيار الحرب كملاذ أخير، كما يحذر أنه عند اختيار هذا الخيار، فإنه ينبغي أن يكون سريعاً وحاسماً. ونظراً لأهمية تايوان بالنسبة للصين، فإنه سوف يتم محاولة تحليل سياسة الصين تجاه الجزيرة من منظور كتابات صن تزو. وتجدر الإشارة إلى أن مسألة ضم الصين لتايوان لا تدخل ضمن إطار محاولة استعادة السيطرة على إقليم انفصالي، بل ترتبط بصراعات القوى الكبرى، إذ باتت واشنطن تؤكد في الآونة الأخيرة على رفضها ضم بكين لتايبيه بالقوة، بل وعن استعدادها للتدخل العسكري لمنع ذلك، وهو الأمر الذي أثار غضب الصين.

وقبل الشروع في توظيف مبادئ صن تزو كإطار لفهم سياسة بكين تجاه تايوان، فإنه يمكن الإشارة إلى حالة تاريخية مماثلة، وهي غزو الإمبراطور كانغشي لتايوان في أواخر القرن السابع عشر، والتي جاءت نتيجة لسياسة جمعت ما بين الحرب والتفاوض، وتوظيف القوة والحكمة مع الخصوم. ففي عام 1681، تمكن الإمبراطور كانغشي من إخماد تمرد داخلي في الصين، ووطد سلطته، مما جعل الظروف مواتية لضم تايوان. ولتحقيق هذا الهدف، أرسل الإمبراطور، في 8 يوليو 1683، الجنرال شي لانغ وقوات بحرية قوامها أكثر من 20000 جندي و200 سفينة حربية للسيطرة على جزر بينغهو. وفي المقابل، أرسل حاكم تايوان، تشنغ كيشوانغ، ليو غوكسوان، وهو جنرال متمرس في المعارك، للدفاع عن جزر بينغهو بقوة مساوية في العدد لجيش شي لانغ. وقاتل الجيشان بضراوة لمدة سبعة أيام وليالٍ. وفي معركة بينغهو البحرية، تم القضاء على قوات النخبة في جيش تايوان، إذ خسروا 159 سفينة وقُتل أو جرح 12,000 من جنوده.

يقدر بنحو 90% من الإنتاج العالمي من رقائق أشباه الموصلات فائقة التطور، ويتم إنتاج حوالي 70% منها في تايوان. وتعد الرقائق هي العمود الفقري للأجهزة الإلكترونية التي تستخدم يومياً في العديد من المنتجات بدءاً من السيارات الكهربائية إلى الهواتف المحمولة. ولذلك، فإنه في حالة إقدام بكين على ضم الجزيرة بالقوة، فإن ذلك سوف يؤدي إلى صدمة فورية في الإمدادات مع تأخير واسع النطاق في تصنيع المنتجات التكنولوجية المختلفة، كما أن ذلك الأمر سوف يؤدي إلى أن تتحكم الصين في التكنولوجيا المتقدمة في تايوان وفي منشآت شركة تايوان لتصنيع أشباه الموصلات، مما يمنحها ميزة كبيرة على المنافسين العالميين، وهو أمر تصمم الولايات المتحدة على منعه. ونتيجة لهذه الأهمية، صرّح الرئيس الأمريكي السابق، جو بايدن، علانية بأن القوات الأمريكية ستدخل للدفاع عن تايوان إذا ما أقدمت الصين على غزوها، بل واقترح مسؤولون أمريكيون على تايوان أن تهدد بتدمير شركة «تايوان لتصنيع أشباه الموصلات»، وذلك كوسيلة لردع الصين عن غزو تايوان.

على مدار السنوات العشرين الماضية، قامت جمهورية الصين الشعبية ببناء أنظمة متعددة لمنع الوصول والحرمان من الدخول حول بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي ومضيق تايوان

وتشير تقديرات تعود إلى أواخر 2024 إلى أن الصين تتخلف عن تايوان في إنتاج الرقائق بحوالي ست سنوات كاملة. بينما تشير تقديرات أخرى إلى أن الولايات المتحدة سوف تكون قادرة على إنتاج الرقائق المتقدمة بحلول 2030، أي تقريباً نفس الفترة الزمنية التي سوف تحتاجها الصين لإنتاج نفس الرقائق المتقدمة، وهذا يعني أن أهمية تايوان الجيوسياسية سوف تتراجع في أعين واشنطن، وهو الأمر الذي قد يجعلها تتراجع عن التدخل دفاعاً عن تايوان، خاصة إذا كانت مثل هذه المعركة قد تتطور في النهاية إلى مستوى حرب نووية بينها وبين الصين. وإذا ما نجح التصور السابق، فإن الصين قد تكون اتبعت نصيحة صن تزو، والتي تشدد على تجنب الخوض في حرب طويلة، ومحاولة توظيف كل المساعي والوسائل غير العسكرية لضم الجزيرة باستخدام الإقناع العسكري، أو الدبلوماسية القسرية. ولكن على الجانب الآخر، فإنه لا يمكن الارتكان إلى هذا الطرح، ونسيان أن موسكو وواشنطن فضلنا في النهاية الدخول في حرب مدمرة ممتدة على الأراضي الأوكرانية.

وتقوم الصين منذ العام 2018 وحتى العام 2021 بمناورة واحدة سنوياً بالقرب من تايوان، غير أنه بدءاً من العام 2022، وحتى 2024، بدأت ترتفع وتيرة هذه المناورات لتصبح مرتين إلى ثلاث مرات سنوياً، كما أن مناورات أغسطس 2022 كانت الأكبر على الإطلاق، فقد تضمنت محاكاة لفرض حصار بحري على تايوان، وإطلاق الصواريخ فوق تايوان؛ بالإضافة إلى شن الحرب السيبرانية، حيث جاءت هذه المناورات لتؤكد على جاهزية الصين لسيناريو ضم الجزيرة بالقوة، وذلك رداً على زيارة نانسي بيلوسي، رئيسة مجلس النواب الأمريكي، إلى الجزيرة، والتي نظر إليها من جانب بكين باعتبارها محاولة أمريكية لتشجيع التوجهات الانفصالية للجزيرة، وذلك على الرغم من تفضيل الأغلبية الساحقة من الشعب التايواني الإبقاء على الوضع الراهن، أي عدم الانضمام إلى الصين، أو إعلان الاستقلال.

وبمراجعة تصريحات المسؤولين الصينيين التي صاحبت هذه المناورات، فإنها تفرض ما يشبه الحصار البحري عليها، وذلك لإرسال رسالة إلى الولايات المتحدة بأن الصين يمكنها أن تقوم بالسيطرة على الجزيرة عسكرياً متى شاءت، ولتحذير تايوان من المغامرة بإعلان الاستقلال عن الصين.

ولا تكتفي الصين بالمناورات العسكرية وحسب، ولكنها تقوم بذلك بالعمل على ثلاثة مستويات أخرى على الأقل، وهي اتباع تكتيكات «منع الوصول والحرمان من الدخول»، وذلك من خلال امتلاك الصواريخ الباليستية القادرة على استهداف القواعد الأمريكية في جنوب شرق آسيا، وذلك لردع الجيش الأمريكي عن محاولة التدخل في أي صراع عسكري حول تايوان.

فعلى مدار السنوات العشرين الماضية، قامت جمهورية الصين الشعبية ببناء أنظمة متعددة لمنع الوصول والحرمان من الدخول حول بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي ومضيق تايوان. هذه المنظومات تشمل أسلحة مضادة للسفن ومضادة للطائرات ومضادة للصواريخ الباليستية والغواصات وغيرها من القدرات البحرية والجوية الأخرى، وذلك لتغيير البيئة الاستراتيجية في غرب المحيط الهادئ، والتوازن العسكري لصالح الصين. ويحد هذا النظام من قدرات التدخل والردع لدى الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين وشركائها.

ومن جهة أخرى، تقوم الصين بزيادة عدد الرؤوس النووية الخاصة بها، إذ تشير التقديرات إلى امتلاك الصين حوالي 600 رأس نووي في 2024، فضلاً عن سعيها لامتلاك حوالي ألفي رأس نووي بحلول 2030، أو حوالي 1500 رأس نووي بحلول 2035، وفقاً لتقديرات وزارة الدفاع الأمريكية. وتهدف الصين من ذلك إلى الحفاظ على قوة ردع ذات مصداقية مع الدول الأخرى المسلحة نووياً التي تتنافس معها، وخاصة الولايات المتحدة والهند، فضلاً عن تحسين مكائنها العالمية، كدولة قوية ذات ردع نووي قوي. ولا شك أن أي محاولة من جانب بكين لضم تايوان بالقوة سوف تتطلب توافر عدد كافٍ من الأسلحة النووية لردع واشنطن عن التفكير في التدخل في الصراع دفاعاً عن الجزيرة.

وأخيراً، تسعى الصين من الانتعاش من الأهمية الجيوسياسية لتايوان، وذلك من خلال تطوير قدراتها في مجال إنتاج الرقائق المتقدمة، إذ تعد تايوان موطناً لشركة «تايوان لتصنيع أشباه الموصلات» (TSMC)، وهي واحدة من أكثر شركات الرقائق قيمة وأهمية في العالم، والتي تنتج ما

جدل حول أطروحات تزو:

لا يمكن أبدأ الانتقاص أو التقليل من قيمة أفكار صن تزو، وأهميتها، سواء للقادة العسكريين، أم للأكاديميين، وذلك لكونه قدم مفاهيم وأفكاراً تحليلية يمكن استخدامها في تحليل الصراعات والحروب في القرن الواحد والعشرين. كما أنه أشار إلى أهمية امتلاك استراتيجية كبرى توظف أدوات القوى الشاملة للدولة. ومع ذلك، فإنه لا ينبغي إغفال أن هناك انتقادات وُجّهت له، والتي يمكن توضيحها وتحليلها في الفقرات التالية: يتعلق أول هذه الانتقادات بأن الواقع العملي يكشف أنه على الرغم من التكلفة الباهظة والمدمرة للحرب، فإن هذا الأمر لم يمنع القوى الكبرى، أو الإقليمية، من الانخراط فيها لتحقيق مصالحها. ولعل المثال الواضح على ذلك الحرب الروسية - الأوكرانية في فبراير 2022، فقد بدأت بذور الحرب في عام 2014، سواء بسبب إطاحة الغرب بالحكومة المنتخبة في أوكرانيا الموالية لروسيا بشكل غير ديمقراطي، ومن ثم العمل على تحويل كييف إلى دولة معادية لروسيا، كما ترى الأخيرة، أم بسبب ضم روسيا لشبه جزيرة القرم الأوكرانية، كما ترى كييف وحلفاؤها الغربيون. فقد أكدت المستشارة الألمانية السابقة، أنجيلا ميركل، في أحد تصريحاتها للصحف الألمانية، بأن اتفاقيات مينسك، التي تم توقيعها لعلاج مشكلة الإقليم الانفصالي في الدونباس، كانت تهدف ليس لحل المشكلة، ولكن لتجميدها، ومنح كييف الوقت الكافي لتعزيز قدراتها العسكرية، مضيفة أن كييف الآن أقوى مما كانت عليه في 2014 و2015، كون حلف الناتو لم يكن قادراً على إمداد قوات كييف بالأسلحة خلال تلك الفترة، بذات الوتيرة التي يقدمها اليوم. ويعني ما سبق أن الحرب التقليدية ضد الخصوم لم تفقد مكانتها حتى الآن، وذلك على الرغم من تحذير تزو من تداعياتها الكارثية.

وعلى الرغم من أن تزو أكد، وهو على حق في ذلك، على صعوبة تحقيق النصر في حروب الاستنزاف، لأن الطرف المنتصر يكون قد تكبد خسائر تفوق أي مكاسب أو أهداف قد حققها من الحرب، وبالتالي فهو نصر أقرب إلى طعم الهزيمة، فإن الحرب الروسية - الأوكرانية، في المقابل، لو انتهت بتسوية قدمت لموسكو ضمانات بعدم انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو، بالإضافة إلى التسليم بالأراضي التي انتزعت السيطرة عليها من أوكرانيا، فإن ذلك سوف يمثل نصراً كبيراً لموسكو، خاصة مع تسليم الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، في 20 فبراير 2025، بأن روسيا تتفاوض من موقع القوة.

من جانب آخر، سعى عدد من المنظرين الغربيين إلى قراءة صن تزو، وتوظيف أفكاره كمفتاح لفهم «طريقة الصين في شن الحرب»، أو «ثقافتها الاستراتيجية»، وذلك على افتراض أن الخبرة العسكرية لأي دولة، والدروس التي راكمتها من معاركها السابقة، تترك تأثيراً عميقاً على طرق تفكير نخبتها حول الحرب. وتعرف الثقافة الاستراتيجية على أنها «مجموعة من المعتقدات والقيم المشتركة حول فاعلية القوة ودورها واستخدامها والتي يشاركها أعضاء مجتمع الأمن الوطني للدولة، والتي تستمد جزئياً من سرديات الماضي، وتؤسس تسلسلاً هرمياً من التفضيلات حول ما إذا كان ينبغي على الدولة استخدام القوة للتعامل مع التهديدات الأمنية وكيفية استخدامها». وتفترض الثقافة الاستراتيجية أن المعتقدات والقيم حول القوة تتسم بالثبات بالرغم من

مرور الزمان، وأنها تمارس تأثيراً حول كيفية اتخاذ القادة لقرارات حول الحرب.

ويرى بعض المنظرين الغربيين أن النصوص القديمة، مثل كتاب فن الحرب، وغيره تعكس القناعة الراسخة لدى المخططين الاستراتيجيين الصينيين. ووفقاً لهؤلاء، فإن الثقافة الاستراتيجية الصينية تعكس رفضاً لاستخدام القوة باعتبارها إحدى أدوات قوة الدولة. وفي المقابل، يرى آخرون أن صن تزو يحض على استخدام القوة، ولكن بصورة غير متناسبة مع الخصم، وذلك لتحقيق نصر سريع وحاسم، وأن إشارته إلى أدوات أخرى من قوة الدولة، كالدبلوماسية والاقتصادية وغيرهما، ما هي إلا عناصر مكملة، وليس بديلة لاستخدام القوة. ويستند هؤلاء إلى تاريخ الصين نفسها، والصراعات الداخلية الدامية، وأنه من العام 1100 قبل الميلاد إلى عام 1911 ميلادية، شهدت الصين حوالي 3,800 حرب، وأنه خلال سلاسة مينج الحاكمة، كان الحكام الصينيون يشنون حرباً واحدة خارجية كل عام على مدار 270 عاماً.

ويمكن الرد على ما سبق بالتأكيد على أنه لا يمكن أبدأ النظر إلى آراء صن تزو باعتبارها مقيدة لأفعال وسياسات الصين، فكما سبقت الإشارة، اتبع القادة العسكريون، في الشرق والغرب، حديثاً وقديماً، آراء صن تزو، ولذلك لا يمكن اعتبارها ملهمة فقط للصين دون غيرها من الدول.

وفي الختام يمكن القول أن صن تزو يقدم في كتابه «فن الحرب» قواعد مهمة لأهمية امتلاك الدولة لاستراتيجية شاملة، لا تقتصر فقط، على القوة العسكرية لتحقيق أهدافها في الساحة الخارجية في مواجهة خصومها. كما كان من أوائل المنظرين العسكريين الذين أشاروا إلى أهمية توظيف الحسابات العقلية في الحرب، ومحاولة تحقيق المعرفة المسبقة من خلال توظيف الجواسيس لجمع المعلومات الكافية عن العدو، وكل أحواله. وأكد كذلك على أهمية تجنب الانجرار إلى حروب استنزاف طويلة الأمد، تنهك ميزانية الدولة، وتنتقص من قيمة الانتصار، إن تحقق في النهاية.

وبغض النظر عن الجدل الفكري حول توظيف فكر صن تزو للاستدلال على الاستراتيجيات العسكرية لدولة بعينها، مثل الصين، فإنه من المؤكد أن آراء تزو قد ألهمت الكثيرين في العالم، في الشرق والغرب، على حد سواء، خاصة فيما يتعلق بضرورة اتباع الحسابات العقلية الرصينة قبل الانجرار في أي حرب، وتذكيره بتكلفتها المهلكة على الدولة والشعب. وإذا ما حاولنا توظيف رؤى تزو لاستشراف سياسات الصين تجاه تايوان، سوف نجد أنها تتمتع بقيمة لشرح سياسة بكين تجاه تايوان، غير أنه لا يمكن الانجرار لاستنتاجات متسرعة ترى بأن بكين لن توظف القوة العسكرية لاسترداد تايوان. وكما تذكر الحرب الروسية - الأوكرانية، والتي أنهت عامها الثالث في فبراير 2025، فإن حرب الاستنزاف لاتزال تمثل خياراً مطروحاً للدول للدفاع عما تعتبره مصالح حيوية لا يمكن التفریط فيها.

- Derek M. C. Yuen, Deciphering Sun Tzu; How to Read 'The Art of War', (Oxford; Oxford University press, 2014), p. 1.
- Michael Ferguson, Sun Tzu's Trap: The Illusion Of Perpetual Competition, Modern War Institute, February 10, 2022, accessible at: <https://mwi.westpoint.edu/sun-tzus-trap-the-illusion-of-perpetual-competition/>
- Michael J. Mazarr, Understanding Competition Great Power Rivalry in a Changing International Order — Concepts and Theories, Rand, March 30, 2022, (p. 37), accessible at: https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PEA1400/PEA1404-1/RAND_PEA1404-1.pdf
- Fumio Ota, Sun Tzu in Contemporary Chinese Strategy, Joint Force Quarterly, Vol. 73, 2nd Quarter, 2014, p. 76.
- Toshi Yoshihara, Sun Zi and the Search for a Timeless Logic of Strategy, in; Hal Brands (ed.), The New Makers of Modern Strategy; From the ancient world to the digital age, (Oxford; Princeton University Press, 2023), p. 68.
- Peter van Ernde Boas (et al.), Analyzing the Logic of Sun Tzu in "The Art of War", Using Mind Maps, (Switzerland; Springer, 2022), pp. 11 – 12.
- Joey Yap, Qi Men Dun Jia Sun Tzu Warcraft, (Malaysia; Joey Yap Research Group Sdn Bhd, 2nd edition; August 2014), p. 16.
- Akshay Joshi, Strategic Wisdom from the Orient: Evaluating the Contemporary relevance of Kautilya's Arthashastra and Sun Tzu's Art of War, Strategic Analysis, Vol. 43, Issue 1, 2019, p. 57.
- James P. Micciche, The Art of Non-War: Sun Tzu and Great Power Competition, War Room, March 18, 2021, accessible at: <https://warroom.armywarcollege.edu/articles/non-war/>
- Hwy-Chang Moon, The Art of Strategy; Sun Tzu, Michael Porter, and Beyond, (Cambridge; Cambridge University Press, 1st edition; 2018) p. 17.
- Matthew J. Morgan, The Art of War in Operation Iraqi Freedom, Defense & Security Analysis, Vol. 21, No. 1, March 2005, p. 99.
- Stephen J. Cimbala, Sun Tzu and Salami Tactics? Vladimir Putin and Military Persuasion in Ukraine, 21 February–18 March 2014, Journal of Slavic Military Studies, Vol. 27, Issue 3, 2014, p. 361.
- Waniyyah Hassan, Understanding Sun Tzu and the Art of Hybrid War – Book Review, Modern Diplomacy, May 22, 2024, accessible at: <https://moderndiplomacy.eu/2024/05/22/understanding-sun-tzu-and-the-art-of-hybrid-war-book-review/>
- Derek M. C. Yuen, Deciphering Sun Tzu, Comparative Strategy, Vol. 27, Issue 2, 2008, p. 183.
- Kuan Feng, A Study of Sun Tzu's Philosophical Thought on the Military, Chinese Studies in Philosophy, Vol. 2, no. 3, Spring 1971, p. 116.
- Mark McNeilly, Sun Tzu and the Art of Modern Warfare, (Oxford; Oxford University Press, 2015), p. 62.
- Michael Warner, The divine skein: Sun Tzu on intelligence, Intelligence and National Security, Vol. 21, Issue 4, 2006, p. 488.
- Stephen J. Cimbala, op.cit., p. 361.
- Michail Ploumis, Strategy, Sun Tzu and the Battle of Marathon, Defence Studies, Vol. 21, Issue 1, 2021, p. 111.
- James Holmes, Sun Tzu And US: How China threatens U.S. alliances, National Review, August 2, 2021, p. 22.
- Richard Koyoumdjian, How annexing Crimea has affected the Russian; Navy and overall power projection in the Black Sea region?, AthenaLab, accessible at: <https://athenalab.org/wp-content/uploads/2021/06/Annexation-of-Crimea-RK.pdf>
- Pavel Polityuk and Anton Zverev, Why Ukrainian forces gave up Crimea without a fight - and NATO is alert, Reuters, July 24, 2017, <https://www.reuters.com/article/world/why-ukrainian-forces-gave-up-crimea-without-a-fight-and-nato-is-alert-idUSKBN1A90FV/>
- Yasuhiro Izumikawa, To Coerce or Reward? Theorizing Wedge Strategies in Alliance Politics, Security Studies, Vol. 22, Issue 3, 2013, p. 502.
- ميركل تكشف ما أخفته حينما كانت مستشارة عن الهدف من اتفاقات مينسك، روسيا اليوم، 7 ديسمبر 2022، متاح على الرابط التالي: <https://arabic.rt.com/world/1414963-الفرصة-لتعزيز-قدراتها-العسكرية/>
- ترامب: روسيا "في موقع قوة" في المفاوضات بشأن أوكرانيا، سكاي نيوز عربية، 20 فبراير 2025، متاح على الرابط التالي: <https://www.skynewsarabia.com/world/1778364-أوكرانيا>
- محمد المشرف خليفة، صن تسو وكتاب فن الحرب: ملهم للقادة ومرجع هام للاستراتيجيات العسكرية والحروب، موقع درع الوطن، 1 سبتمبر 2014، متاح على الرابط التالي: <https://www.nationshield.ae/index.php/home/details/history/ar/الصن-تسو-وكتاب-فن-الحرب/>
- البنتاغون: بحلول 2030 قد تصل الترسانة النووية الصينية إلى ألف رأس حربي، روسيا اليوم، 18 ديسمبر 2024، متاح على الرابط التالي: <https://arabic.rtr.com/world/1629802-النووية-الصينية-إلى-ألف-رأس-حربي/>
- تحليل CNN: روسيا الراجح الوحيد من هجوم ترامب على زيلينسكي، سي إن إن عربي، 20 فبراير 2025، متاح على الرابط التالي: <https://arabic.cnn.com/world/article/2025/02/20/as-trumps-attacks-on-zelensky-turn-personal-theres-only-one-winner-russia>
- ترامب: روسيا "في موقع قوة" في المفاوضات بشأن أوكرانيا، سكاي نيوز عربية، 20 فبراير 2024، متاح على الرابط التالي: <https://www.skynewsarabia.com/world/1778364-أوكرانيا>
- David Wallsh, Andrew Taffer, and Dmitry Gorenburg, Countering Chinese and Russian Alliance Wedge Strategies, The Center for Naval Analyses, May 2022, (pp. 35 – 36), accessible at: <https://www.cna.org/reports/2022/05/Countering-Chinese-and-Russian-Alliance-Wedge-Strategies.pdf>
- Luis Simón, The Trump Administration Vs The 'Axis Of Upheaval'?, War on the Rocks, January 29, 2025, accessible at: <https://warontherocks.com/2025/01/the-trump-administration-vs-the-axis-of-upheaval/>
- James P. Micciche, op.cit.
- Chris King, The Art of War: China's Strategic Considerations in Conquering Taiwan, MEMRI, June 12, 2023, no 1697, accessible at: <https://www.memri.org/reports/art-war-chinas-strategic-considerations-conquering-taiwan>
- Amrita Jash, China's Military Exercises Around Taiwan: Trends and Patterns, Global Taiwan Institute, October 2, 2024, accessible at: <https://globaltaiwan.org/2024/10/chinas-military-exercises-around-taiwan-trends-and-patterns/>
- Paul Haenle and Nathaniel Sher, How Pelosi's Taiwan Visit Has Set a New Status Quo for U.S-China Tensions, Carnegie, August 17, 2022, accessible at: <https://carnegieendowment.org/posts/2022/08/how-pelosis-taiwan-visit-has-set-a-new-status-quo-for-us-china-tensions?lang=en>
- Fabian-Lucas Romero Meraner, China's Anti-Access/Area-Denial Strategy, The Defence Horizon Journal, February 9, 2023, accessible at: <https://tdhj.org/blog/post/china-a2ad-strategy/>
- Amrita Jash, By the numbers: China's nuclear inventory continues to grow, Lowy Institute, February 27, 2024, accessible at: <https://www.loyyinstitute.org/the-interpretor/numbers-china-s-nuclear-inventory-continues-grow>
- Taiwan's Chip Dilemma: Navigating the Threat of Invasion and the Strain of Diversification, TRT World Research Center, October 31, 2024, accessible at: <https://researchcentre.trtworld.com/featured/taiwans-chip-dilemma-navigating-the-threat-of-invasion-and-the-strain-of-diversification/>
- Will China Invade Taiwan? A Potential Timeline for Conflict, Global Guardian, January 3, 2025, accessible at: <https://www.globalguardian.com/global-digest/will-china-invade-taiwan>